

من نفوسهم على عوالم الفن الأخرى، فيثقفوا بها ويجدوا في ذلك التشويق، حتى يدربوا حواسهم - على تمثل الجمال - حاسةً حاسةً تدريباً ممتعاً.

وأكبر ظني أن هذا هو السبيل الواضح الذي يصل بهم على عجل إلى غايتهم المنشودة، ولعل من أمس هذه العوالم الفنية بالشعر عالم الخطوط والحركة أو ما يسمونه باسم فن الرسم، ففي هذا العالم أو في هذا الفن يستطيع الشاعر أن يبرن إحساساته تمريناً كاملاً على التأثير بجمال الطبيعة والانفعال بمشاهدتها الرائعة ومظاهرها الساحرة. ويظن كثير من الناس أن جمال الصورة يتركز في ألوانها وأضوائها، ولو كان الأمر كذلك لكانت الصورة قليلة الجدوى، والواقع أن جمالها البديع يتركز في الخطوط وحركاتها واتجاهاتها، تلك الخطوط التي تعدل الصورة وتقومها وتنتهي بها إلى شكلها الفني الجميل، أما الألوان فهي شيء إضافي يلحق بالخطوط بعد تكوينها ووجودها. والشاعر كالمصور لا يختلف عنه في شيء إلا في المادة التي يصور بها، وإن في الصورة المجتمعة وندرة العناصر وتناسب الجميع لنوعاً سامياً من القوة الإلهية كما يقول فلو بير. وأهمية الصورة في الشعر ترجع إلى أنه لا يعبر عن الحقيقة كما هي، وكما نجد في النثر، وإنما يتخذ للإفصاح عنها طريقاً آخر هو تمثيلها وتخييلها وعرضها في صور خلاصة ورسوم ساحرة. وهذا هو الذي حدا باليونان منذ القدم إلى أن يخصصوا الشعر ببرهان قائم بنفسه، برهان لا يقوم على اليقين، ولا يتخذ مقدماته من المنطق، وإنما يقوم على الإقناع والتمثيل، ويتخذ طريقه من التأثير والتخييل. ونحن نلاحظ أن الشعر العربي لا يهتم بالصورة الاهتمام الواجب، وإنما يضع همه كله في الألوان والأضواء، ولا نكاد نجد فيه الخطوط الكثيرة التي تخلق الصورة خلقاً، وتبتكرها ابتكاراً، وتعمر قلبها بالحرارة والحياة، فمعظم شعرائنا إنما يقف همهم من الصورة عند هذا النوع الذي يسمونه مجازاً أو كناية، وما عرفوا أن هذه الأشياء هي أقل أنواع الصور قيمة، بل هي - في الواقع - لا تزيد عن أنها طريقة من طرق التعبير، أما الصورة المتكاملة فهي أسمى من ذلك وأرفع، ولا بد لها من تحضير للمواد طويل، وجمع للعناصر كثير.